إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فإنه لو بُعِثَ فينا صحابيٌّ من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أُخرج لنا من قبره تابعي من التابعين، فنظر في حال المسلمين وحالتهم؛ فإنه لن يعرف مما هم عليه شيئًا علىٰ الإطلاق، وهذا الذي أقوله ليس فيه شيء من المجازفة.

روىٰ ابن وضَّاح بإسناده عن حذيفة رضوان الله عليه: أنه أخذ حصاة بيضاء، فوضعها في كفه، ثم قال: إن هذا الدين قد استضاء استضاءة هذه الحصاة. ثم أخذ كفًّا من تراب، فجعل يذره علىٰ الحصاة حتىٰ واراها، ثم قال: والذي نفسي بيده، ليجيئنَّ أقوام يدفنون هذا الدين؛ كما دفنت هذه الحصاة.

وعن أبي الدرداء قال: «لو خرج رسول الله ﷺ اليوم إليكم؛ ما عرف شيئًا مما كان عليه هو وأصحابه، إلا الصلاة»، قال الأوزاعي [المتوفىٰ عام 157هـ]: – قال الأوزاعي : فكيف لو كان اليوم؟! قال: عيسىٰ – يعني: الراوي عن الأوزاعي –: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟!

قلتُ: فكيف لو أدرك زماننا؟!

ولا أقول: إن ما يقع للمسلمين اليوم، بل أقول: إن ما يقع من المسلمين اليوم وما يحيون

به ويعيشون عليه؛ لَمِن أعجب ما يكون!

إذ هم الأمة المرحومة الخاتمة، أمة الإسلام، وهم الذين بُعث فيهم محمد ﷺ، ولكنهم تحوَّلوا عما كان عليه رسولهم ﷺ، وكيف يكونون علىٰ ما كان عليه إن كانوا لا يعرفونه ﷺ؟!

لقد عاب الله جَلَّوَعَلَا علىٰ المشركين الأوائل وقرَّعهم تقريعًا شديدًا لما تركوا اتِّباع محمد ﷺ وهم يعرفونه؛ فمعرفته من أكبر الدوافع إلىٰ اتباعه والسير علىٰ خطاه، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 69].

واليوم يخرج من يخرج من الناس ليسأل الناس في الطرقات: ما هو اسم النبي محمد ﷺ؟ فمنهم من يقول: «محمد» ويسكت، ومنهم من يقف عند «محمد بن عبد الله»، ومنهم من يأتي بالإجابات الخاطئة! يخطئون في اسمه ﷺ!

فأنىٰ لهم أن يعرفوا دينه وملته؟!

هذا الذي وصل إليه المسلمون وهم أمة الإسلام، الأمة الخاتمة، التي هي خير الأمم، وهم وحدهم الذين يملكون الحق، وهم وحدهم الذين معهم كلام الربِّ الذي لم يُحرَّف، المنقول لنا بالأسانيد والمخطوطات، وغيرُهم لا يملك من الحق أو من كلام الرب المهيمن شيئًا!

ومع هذا الذي وصل إليه المسلمون من البعد عن نبيهم ﷺ، والجهل به جهلًا فاضحًا، تجدُ غيرَهم يبشِّرون بغيره ﷺ، فتجد الهندوس يبشرون ببوذا، ويسعون لنشر تعاليمه في الدنيا كلِّها، وتجد النصارىٰ يبشرون بالمسيح، ويصفونه بالمحبة والسلام ويدعون الناس إلىٰ الإيمان به والكفر بما سواه!

والعالم يضيع، وهو يبحث عن السعادة والمخرج مما ألَمَّ به من أمراض نفسية ومشكلات عقدية وأخلاقية، والمسلمون وحدهم هم من يملكون العلاج الذي ينجو به العالم كلُّه، ولكنهم لا أقول: غافلون، وإنما لا يعرفون حقيقة ما يمتلكونه من حقٍّ أوجبَ الربُّ عليهم الدعوةَ إليه.

محمد ﷺ رسول الإسلام سيد ولد آدم وخاتم المرسلين، الذي بعثه الله جَلَّوَعَلَا

للبشرية كلها، بل للإنس والجن علىٰ السواء، بالشريعة الخاتمة التي ستبقىٰ إلىٰ أن يرفع الله جَلَّوَعَلَا القرآن من الصدور والسطور قبيل قيام الساعة، **لا بدَّ أن يعرفه الناس**، مسلمُهم وكافرُهم، رجالهم ونساؤهم، كبارهم وصغارهم؛ لأن معرفته ستدلُّهم دلالة واضحة علىٰ كيفية تطبيق الإسلام في دنيا الله؛ إذ هو أكمل مَنْ طبَّقَ دينَ الله في أرض الله كما أراد الله.

وهو ﷺ أعظم مَن وُصف من البشر، وأشرف من تُكُلِّم عليه من العالمين؛ فكيف ينشغلون عنه بالكلام عن فلان وفلانة، وما أكثر ما قيل: «أقول لك: قال رسول الله ﷺ، وتقول: أبو بكر وعمر!» فكيف بمن انشغل عنه ﷺ بالفسَّاق والضلَّال، وربما بالكفار والمشركين؟!!

حتىٰ وصل الأمر إلىٰ أن اختلط أمره ﷺ وهو أصدق الناس وأبرهم علىٰ بعض العامة من شباب المسلمين بأمر أكذب الخلق علىٰ الله والذي هو أشر الناس الذي يكذب علىٰ الله جل وعلا ويدعي النبوة كذبًا وزورًا .

إن أول ما يصل إليه المرء من أهوال الآخرة؛ ما يصل إليه من السؤال في قبره، فالقبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه العبدُ؛ فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدُّ منه، وفيه يُسأل المرء عن ثلاث، لو عاش حياته ولم يُعِدَّ لها جوابًا؛ فقد رسب الأبعد في أكبر امتحان وأعظمه وأخطره.

فيُسأل عن ربه جَلَّوَعَلَا، ويسأل عن دينه، ويسأل عن رسوله ﷺ؛ كما جاء في الحديث الذي يرويه **البراء بن عازب عن الرسول** ﷺ:

«فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويُجلِسانه، فيقولان له: من ربُّك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض علىٰ المؤمن، فذلك حين يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [إبراهيم: 27]**، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، وقال في العبد الكافر أو الفاجر: ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث**

فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون ذاك، قال: فيقولان: لا دريت ولا تلوت، فينادي منادٍ أن كذب عبدي».

وإذن فلا يكفي في معرفته ﷺ ولا معرفة ما جاء به، فضلًا عن معرفة الله جَلَّ وَعَلَا الذي أرسله، لا يكفي في ذلك؛ أن تقول كما يقول الناس؛ لأن ذلك هو عين ما يهلك به الهالكون في أول منازل الآخرة، ولكن عليك أن تعلم عن الله، وتعلم عن رسوله ﷺ، وتعلم عن الدين الذي جاء به الرسول ﷺ.

ولما كانت معرفته ﷺ من أسباب النجاة؛ جعلها الله متوفرة مبذولة لمن طلبها، فهو وحده ﷺ في العالم كله الذي رُصد رصدًا دقيقًا كاملًا، فلم تُرصد حياة أحد من العالمين مثلما رصدت حياته ﷺ.

فمولده ونسبه ولونه وهيئته، وطباعه وصفاته، وأخلاقه وخلقته، وما يحب من الثياب والطعام، وما يكره منهما، وما يُقبل عليه وما يُدبر عنه، فضلًا عما هو أكبر من ذلك من دعوته وجهاده، وعبادته، ومنهجه وسنته من أقوال وأفعال، بل ما سكت عنه وأقرَّه؛ موجود مثبوت بالأسانيد الصحيحة، مدوَّن في الدواوين والكتب، بل وزواجه وتطليقه، وأولاده وبناته، وأصحابه وآل بيته، كل ذلك وأكثر مثبوت موجود، وتستطيع أنت ويستطيع أيُّ أحد أن يصل إلىٰ النبع الصافي إلىٰ الإسلام العظيم كما نزل أول يوم بلا تحريف بزيادة أو نقصان، بفضل الله رب العالمين.

وإذن فما الذي يَصدُّ المسلمين عن معرفته ﷺ؟!

بل ما الذي يصد الدعاة عن الكلام عنه ﷺ؟!

محمد ﷺ رسول الله وخير الناس للناس، الذي كان يقول: «**أنا أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؛ فمن توفِّي وعليه دين فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فهو**

لورثته»[1].

محمد ﷺ الذي قال: «إنَّما مثلي ومثل أمَّتي كمثل رجلٍ استوقد نارًا فجعلت الدَّوابُّ والفراش يقعْنَ فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحَّمون فيه»[2].

محمد ﷺ الذي قال عنه أنسٌ صاحبه: «لمَّا كان اليوم الَّذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كان اليوم الَّذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيءٍ، وما نفضنا أيدينا من التُّراب، وإنَّا لفي دفنه ﷺ، حتَّىٰ أنكرنا قلوبنا»[3].

محمد ﷺ الذي ذِكْرُه دلالة علىٰ طريق الله القويم، وتعلُّم سيرته ﷺ غذاء للقلوب وبهجة للنفوس

محمد ﷺ الأسوة الحسنة والرحمة المهداة الموصوف في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا بقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[4].

محمد ﷺ يسكت عن بيان سيرته وحقيقة ما جاء به المسلمون! ويُسيء إليه بالسبِّ والشتم الكافرون، والعيب كل العيب علىٰ أتباعه، أن خالفوا ملَّته وتنكَّبوا هديه فشوهوا دينه في أنظار مخالفيه، فتهجَّم عليه من تهجم، وقد كان الكافر من مشركي قريش يذهب إلىٰ رسول الله ﷺ فيرجع يقول: «أي قوم، والله لقد وفدت علىٰ الملوك، ووفدت علىٰ قيصر وكسرىٰ والنَّجاشيِّ، والله إن رأيت مَلِكًا قطُّ، يعظِّمه أصحابُه ما يعظِّم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ محمَّدًا، والله إن تنخَّم نخامةً إلَّا وقعت في كفِّ رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه مسلم.

(3) أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

(4) سورة التوبة: (128).

يقتتلون علىٰ وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النَّظر؛ تعظيمًا له »[5].

هذا هو محمد ﷺ ما تجرَّأ عليه الكافرون لما كان أصحابه يعرفون قدره ويدافعون عنه وعن سنته، فهذا الكافر ما امتدح ما رآه عند النبي محمد ﷺ، أمام المشركين، إلا لِمَا وقع له لمَّا حاول التجرؤ علىٰ رسول الله ﷺ؛ ففي نفس الرواية أنه – أي: الكافر – «جعل يكلِّم النَّبيَّ ﷺ فكلَّما تكلَّم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم علىٰ رأس النَّبيِّ ﷺ ومعه السَّيف وعليه المغفر، فكلَّما أهوىٰ عروة بيده إلىٰ لحية النَّبيِّ ﷺ ضرب يده بنعل السَّيف، وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ»، فضلًا عما رآه هو وحكاه لمن خلفه من المشركين فقال: «والله إن تنخَّم نخامةً إلَّا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النَّظر؛ تعظيمًا له».

وإذن فالعيب ليس علىٰ المشركين – فليس بعد الكفر ذنب –، ولكن العيب علىٰ المسلمين الذين وقع منهم ما يضادُّ ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ من تعظيمه ﷺ وتوقيره، وابتدار أمره، وعدم التقدم بين يدي كلامه ﷺ، فيقدم بعضهم رأيه علىٰ قول الرسول ﷺ ولا يقف عند حدود سنته ﷺ.

من هو محمد ﷺ

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، قريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل ، عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام .

محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، خاتم الأنبياء ، ورسول الله لهذه الأمة من الجن والإنس ، أرسله الله للناس جميعا ، قال تعالىٰ : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقال سبحانه : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

---

[5] أخرجه البخاري.

كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَّنَذِيرًا } . فاسمه محمد ، واسمه أحمد ، واسمه الحاشر ، والماحي ، والمقفي ؛ لأنه خاتم الأنبياء ، وهو نبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة . هذه كلها أسماؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها محمد الذي سماه به أهله ، وجاء به القرآن ، قال تعالىٰ : { مُحَمَّد رَّسُولُ اللهِ } . وهكذا (أحمد) كما بشّر به عيسىٰ : { وَمُبَشِّرًا بِرَسُول يَّأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد } ، فهو محمد وأبوه اسمه عبد الله ، وجده اسمه عبد المطلب . وعبد المطلب لقب ، وإلا فاسمه شيبة وأبو جده اسمه هاشم وهو سيد من سادات قريش كما أن عبد المطلب كذلك

وهاشم من قريش قبيلة عظيمة وهي أفضل العرب . والنبي ـ صلىٰ الله عليه وسلَّم – من خاصتهم من بني هاشم وهم أفضل قريش . واسمه فهر بن مالك ، وقيل قريش هو النضر بن كنانة جد فهر بن مالك . وقريش من العرب المستعربة التي استعرب لسانها فصار لها لسان عربي واضح ، فهي أكثر عروبة من قحطان . ولهذا يقال لهم العرب العاربة ، والعرب المستعربة . وهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل .

تُوفي وله من العمر ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيا رسولاً ، نبئ بـ (اقرأ) وأرسل بـ (المدثر)

. وبلده مكة ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلىٰ التوحيد . والدليل قوله تعالىٰ : { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ـ قُمْ فَأَنْذِرْ ـ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ـ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ـ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ـ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ـ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } . ومعنىٰ { قُمْ فَأَنْذِرْ } : ينذر عن الشرك ، ويدعو إلىٰ التوحيد . { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } : عظمه بالتوحيد . { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } : أي طهر أعمالك عن الشرك . { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } : الرجز : الأصنام ، وهجرها : تركها وأهلها ، والبراءة منها وأهلها .

أخذ علىٰ هذا عشر سنين يدعو إلىٰ التوحيد ، وبعد العشر عرج به إلىٰ

السماء ، وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وصلىٰ في مكة ثلاث سنين .
وبعدها أمر بالهجرة إلىٰ المدينة .

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، مثل الزكاة ، والصوم ، والحج ، والأذان ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وغير ذلك من شرائع الإسلام . أخذ علىٰ هذا عشر سنين ،

وتوفي صلىٰ الله عليه وسلم ودينه باق إلىٰ أن يرفع الله جل وعلا القرآن من الصدور ومن السطور قبيل قيام الساعة .

لا خير إلا دل الأمة عليه ، ولا شر إلا حذرها منه . والخير الذي دلها عليه التوحيد ، وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه .

بعثه الله إلىٰ الناس كافة ، وافترض طاعته علىٰ جميع الثقلين ، الجن والإنس ، والدليل قوله تعالىٰ : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } وكمل الله به الدين ، والدليل قوله تعالىٰ : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا }

وقد جاء صلىٰ الله عليه وسلم مبشرًا لمن آمن ومنذرًا لمن كفر

جميع الرسل مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالىٰ : { رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ }